واستنزاف الدخل والتركيب الداخلي لنظام التخلف ، والآلية (الميكانيزم) التي تعيد انتاجه ، كما يدرس التركيب الاجتماعي للبلدان المتخلفة ودور واشكال البنى الاقتصادية » . وبكلمة اخرى فانه يطرح في هذا الجزء نظريته الخاصة التي يراد لها ان تكون بديلا ـ تجاوزيا ـ للنظريات التي عمل في الجزء الاول على تبيان قصورها وعجزها عن تقديم تفسير مقبول ومتماسك لظاهرة التخلف .

لقد كان المأخذ الاهم الذي استخلصه سنتش من معالجته لـ « نظريات التخلف» كونها قد اعتبرت « ان التخلف مرحلة اصلية او مرحلة طبيعية قابلة للتفسير في ذاتها » . والمسألة الجديرة بالتنبه هنا ان اعتبارا كهذا لا يعني أن سنتش يجد تميزه في عكس ميكانيكي للموقف السابق يعتبر ظاهرة التخلف نتيجة مبسطة لعامل خارجي عالمي ، وذلك على الرغم من اقراره بأن ذلك العامل يشكل المرتكز الاساسي لفهم تلك الظاهرة .

ان ظاهرة التخلف تفسر لدى سنتش على انها الوجه الآخر لعملية « انبثاق الكولونيالية المتجسدة اقتصاديا . اي النظام الكولونيالي للرأسمالية الاحتكارية ... » والتي نلمح وجهها الاول في المجتمعات المتطورة . وعلى هذا الاساس فان « تحليل الوضع الراهن للبلدان المتخلفة » يجد مبتداه في « تفحص الكولونيالية وتقييمها ، او ان توخينا الدقة نقول : بفحص الاقتصاد الرأسمالي العالمي وتقسيم العمل العالمي » . ولكن هذا بمجمله لا يمثل سوى الوجه الاول لطرح سنتش ، اما الوجه الاخر والذي يعطي طرحه الجزء الاكبر من اهميته فيتجلى في رؤية عملية التمثل الداخلي ـ التي تتم في البلدان المتخلفة ـ لآثار ذلك العامل الخارجي ، والتي يتم بموجبها ظهور « بنية اقتصادية واجتماعية مشوهة ومفككة كنتيجة لهذه العوامل الخارجية » . وتصبح هذه البنية بدورها « وبصورة مستقلة عن العوامل الخارجية ، المحدد والاساس لنظام العلاقات الخارجية وآلية التبعية واستنزاف الدخل » . وعلى هذا الاساس الجديد ، يصبح المرتكز المحوري لفهم ظاهرة التخلف وتفسيرها ماثل في تحليل آلية تلك العلاقة الجدلية المتشابكة ما بين الخارج والداخل ، والكشف عن « الميكانزمات » التحولية في تلك العلاقة .

على هذا الطريق ينتقل سنتش الى معاينة « العوامل الخارجية لنظام التخلف» ثم « العوامل الداخلية للتخلف وآليته ». واراني معنيا هنا بالتوقف لاسجل اعتراضا هامشيا على هذا الفصل المنهجي ما بين معالجة « العوامل الخارجية لنظام التخلف » ومعالجة « العوامل الداخلية » لهذا النظام .

اذا كان من الصواب ان نميز ، من الوجهة المبدئية ، بين « العوامل الخارجية التي انبثق التخلف على اساسها » وبين « البنية التي يتألف منها التخلف والتي تسهم في تأكيد نظام العلاقات الخارجية» فانه من الصواب ايضا القول أن « العلاقة المتبادلة والوثيقة بينهما » تجعل من هذا الفصل الشكلي في معالجتهما ضربا من الميكانيكية . وحينما نسجل هذا التحفظ اجد أنه ينبغي لنا أن نعترف بأنه على الرغم من هذا الفصل المنهجي الذي اعتمده سنتش ، الا أن سياق المعالجة قد نجى من السقوط في ذلك المطب ، ولعل في ذلك دليلا اضافيا على ان المنهج الجدلي لا يمثل بالنسبة للمؤلف قبعة تزين البحث من الخارج ، بل هو قضية موقف متمثل حتى الحدود القصوى ليكون لحمة البحث وسداه .

ان النظام الكولونيالي من حيث يمثل الناتج الذي افضى اليه تطور النظام